السيرناس او ابو سيراس

اللغة العربية في حاجة ماسة الى لغويين مدققين يتتبعون ما ورد فيها من غامض الالفاظ ومغلق شرحها ليعرف على التحقيق فيتخذ في التكلم او الكتابة او التعريب وبذلك يعود الى اللغة جلاؤها من جهة ونحن نقف على اسرار ما كتبهُ السلف في مباحث العلم والفن من جهة اخرى

هذه كلة السيرناس او ابوسيراس فقد بحثتُ عنها مدةً تنوف (١) على ثلاثين سنة لاعلم معناها ولم ازل اتقصّى في التحقيق عنها حتى اظنني بلغت الغاية منهُ

قال الدميري (في النسخة المطبوعة في مصرٍ في باب السين ص٣٥) قال القزويني . : « في الاشكال انهُ حيوان يوجد في الغياض تكامل في قصبة انفهِ اثنا عشرة ثُقبَة اذا تنفّس يُسمع من انفهِ صوت كصوت المزامير والحيوانات تجتمع عليهِ لاستماع ذلك الصوت فاذا دهش بعضها لذلك يصيدهُ فيأكلهُ فان لم يتهيأ لهُ صيد شيء منها وضجر صاح صيحة هائلة فتتفرق الحيوانات وتفر عنهُ »

وفي حاشية ذلك الجزء في الصفحة ٢٠٣ جاء ذكر هذا الحيوان الغريب باسم « سرّباس » . وهذا نص ما جاء هناك : « قالوا انهُ حيوان يوجد في الغياض بكابُل وزابلستان في قصبة انفهِ اثنا عشرة ثقبة (كذا) اذا تنفّس يُسمع من صوتهِ صوت المزمار اتخذ على مثال قصبة انف ذلك الحيوان . فالحيوانات تجتمع عليهِ لاستماع ذلك الصوت فربما تدهش من لذة استماعها فاذا رأى سرباس ذلك منهم (كذا) يصيد منهم (كذا) ما شاء وان لم يرد صيد شيء منها او ضجر منها ومن اجتماعها عليهِ صاح فيهم (كذا) صيحة عظيمة هائلة تنفر كلها عنهُ والله الموفق »

ففي الروايتين اختلاف بيّن في الاسم والتعريف . وهذا في نسخة واحدة مطبوعة في مطبعة واحدة وقد تولّى امر نشر الكتابين رجل واحد . فما قولك في النسخ الخطيّة ولاسيما اذا كان كتّابها مختلفين ؟ فلا جرم ان ارباب الاقلام أدخلوا فساداً عظيماً على ما دونهُ السلف وما علينا الآن الاّ الجدّ والسعي لتنقية تلك الكتب واظهار ما وقع فيها من العوائر

(١) انكر بعض كتبة العصر تاف يتوف الثلاثي مع انها افصح من اتاف يتيف

وسيرناس في معجم فلتَرس Vullers الفارسي اللاتيني ما معرّبه نقلاً عن فرهنك الشعوري : « طائر بحريّ يكون في افريقية طويل المنقار مُشَقَّبُهُ يُخرج غناء ويزعم الافريقيون انهم تعلموا صنع المزامير منهُ . وكذلك النفخ فيها . وقد قال الاستاذ لطيفي هذا البيت :

زي بانواع نغم چون سيرناس مي نشناز نغمهاي سيرناس . اه ومعناهُ : انهُ وان كان فيهِ انواع النغمات كنغمات السيرناس الاّ انهُ حيهات ان تكون تلك النغمات نغمات السيرناس »

فانظر الى هذا التصحيف المختلف باختلاف الكاتب . دع عنك قول من يجعلهُ في فريقية ومن يجعلهُ في الفياض (بدون تعيين موقع تلك الفياض من بلاد الله) او في كابل وزابلستان

وجاء في حياة الحيوان الكبرى المطبوع في القاهرة سنة ١٢٩٢ في ٢ : ٤٤ في الحاشية : « قولهُ ابو سيراس هكذا في بعض النسخ وفي بعضها « سيراسين » وفي بعضها « سرافو » وفي بعضها سيراس وفي بعضها غير ذلك . ولم اقف على شيء من هذا في القاموس . فليحرّر بالمراجعة من مظانهِ . اه مصححهُ (٢)

وقال دوزي في كتابهِ الملحق بالمعاجم العربية في مادة س ر ي ن س : سريانَاس : ضرب من طير البحر يُسمّى ايضاً الوامق كما ورد في كتاب خطيّ من مخطوطات الاسكوريال برقم ٨٩٣ وليس سريانس كما اوردهُ قصيريّ في ١ : ٣٢٠ وشرحهُ بقولهِ « طائر بحريّ طويل المنقار مختلف الغناء طيبهُ وعجيبهُ » . اه تعريباً

فزادنا هذان المستشرقان نقلاً عن العرب تصحيفين آخرين . وهذه الكلم على اختلاف الروايات فيها يختلف ضبطها اذا ما ضبطها بعضهم وقد لا يهتدي الى التلفظ بها اذا كانت غير مضبوطة بالشكل الكامل . وفي ذلك من الغناء ما لا يتصوّرهُ الاّ من عالج التفرّغ لهذه المباحث الوعرة

والافرنج الذين نقلوا الى لغتهم كتاب حياة الحيوان الكبرى او كتاب عجائب

(٢) ونحن ايضاً قد عثرنا على هذه الالفاظ مع اختلاف رواياتها في معاجم الاقدمين والمحدثين من عرب وعاجم فلم نجد ما يُثلج صدراً فيها . اللهم الا كلمة سيرناس فقد وجدناها في معجم فرهنك الشعوري على ما اشار اليها فلرس وقد ضبطها فرهنك بكسر السين وسكون الياء المثناة التحتية والراء المهملة وفتح النون بينها الف ثم سين

المخلوقات لم يستطيعوا ان يهتدوا الى سواء السبيل فنقلوا الالفاظ العربية على علاتها مع اختلاف في القراءة ولم يستطيعوا ان يعرفوا الحيوان المعنيّ بذلك اللفظ

٢ تحقيق اللفظة

واظن ان الرواية الحقيقية للفظة (ابو سيراس) هي (رنو سيراس) فكانت في العهد الاول بدون تنقيط هكذا (ر و سيراس) فظنها الناسخ (ابو سراس) فقرأها (ابو سيراس) ثم تكهنوا التكهنات الغريبة في قراءتها وتأويلها فتولدت منها تلك الروايات العديدة الغريبة

٣ مرادفاتها

و(رنو سيراس) او (ابو سيراس) او (سيراس) او (سيراس) او ما شئت ان تقرأها هو اليونانية Rhinoceros اي الكركدن. ومن اسمائه التي اقترنت بها وجاءت في كتب العرب: المرميس والهرميس والحريش والنوشان والنُشّان والرّيم والسِناد ووحيد القرن والكركند والحمار الهندي وابو القرن والانثى ام القرن والنزك والغندا الى غيرها مثل الزبعرى والياموك او اليحمور وكلها واحدة في المعنى

٤ تدقيق النظر في وصف العرب لهذا الحيوان

هذا الحيوان يُرى اليوم في غياض بلاد الهند وفي كابُل وزابلستان. وهذا الكلام يتفق في ايرادهِ الاقدمون من العرب والمحدثون من اهل الغرب. واما انهُ على اتقهِ قصبة فهو كلام مبني على انّ لهذا الحيوان قرناً واحداً وقد يكون لهُ قرنان مع قرن ثالث. فاعتبروا هذا القرن قصبةً وفي ذلك تسامح ظاهر لكن قولهم: فيهِ اثنتا عشرة ثقبة واذا تنفس يسمع من اتقهِ صوت كصوت المزامير فهي حكاية مبنية على ما نقلهُ العرب ايضاً عن الاقنّس(٣) ووصفوهُ على ما وصفوا هذا الحيوان الاّ انهم قالوا عنهُ انهُ طائر ونسبوا مثل هذه الحكاية ايضاً الى نوع من السمك سموهُ بالزّامر لهذا السبب وسماهُ الافرنج Siréne وبالروسية

(٣) للاقنس حكايات مختلفة. والكلمة يونانية الاصل وقد صحفها العرب بصور عديدة مع تقديم وتأخير في الحروف وزيادة في تلفيق الحكاية. وقد وردت بصورة فقنس وقفنس وفنقس وتنفس وبنجس وبجنس الى غيرها. راجع تاج العروس والقاموس وحياة الحيوان الكبرى وما ضاهاها من كتب متون اللغة وعلم الحيوان. وقد ذكروه باسم الفوقنس او الفوقنس او الفوقنس الى غيرها كما هو المألوف في نقل الالفاظ الاعجمية الى العربية حينما لا تأتلف حروفها مع صيغ حروف العرب واوضاعهم

Siren وبالبونانية Seirên فنشأت الاختلافات في حقيقة الحيوان بين قائل بانه سمكة وبين ذاهب الى انهُ طائر وبين مصرّح بانهُ حيوان. فضاعت الرواية الصحيحة بين هذه الآراء المتضاربة المتخالفة

والذي ساعد هذه الرواية الكاذبة على التفشي بين جملة الاقلام من الادباء الضعفاء البصر أنّ التصحيف الوارد بصورة (سرناس) قريب من (سرناي) وهي الآلة المعهودة في بلاد الشرق باسم (الزُرنا) او (الزُرنة) او (السُرناي) وهي عندي مركبة عن (الصور) و (الناي) فصارت بالنحت (الصُرناي) كما وردت في رحلة ابن بطوطة في وجودها في القسطنطينية ثم اختلفت فيها الروايات — وهي كثيرة وقد جمعت فيها الخمس عشرة — حتى صارت الى ما ترى كما انها قريبة لفظاً من كلمة Seirênos اليونانية التي معناها السرناي او الصرناي ايضاً

واللفظة اليونانية (سيرن) تعني الخيلان (٤) وهي على ما يزعم اهل القصص خلق وجههُ وجه امرأة وذنبهُ ذنب سمكة وتعني ايضاً ضرباً من الطير فهان على النقلة الزلق في مهواة الوهم

ثم ان اللغة «سُرْياناس» ويقال سُرْيانس» خلافاً لما ذهب اليهِ دوزي، ما هي الا تصوير الكلمة اليونانية Seirênaios بحروف عربية بمدّ الحروف او بقصرها. ومعناها «الخَيْلاني» اي المنسوب الى «الخيلان» اعتبروا الوصف موصوفاً كما يقع مثل ذلك كثيراً في نقل الفاظ الاعاجم

وسبب خروج قول العرب عن منقول كلام اليونان هو اتباعهم الفرس الذين عدلوا عن القول المألوف لما ذكرناهُ من مقارنة اللفظة اليونانية للفارسية «سرناي» أو لان اللفظة اليونانية المذكورة تدل على طائر ايضاً وكان قد علق بذهنهم حكايات الفتنس فظنوا ان هذا وذاك واحد مع اختلاف في الاسم لاغير

(٤) لم اجد في معاجم العرب كلمة الخيلان بهذا المعنى الا اني وجدتها في محيط المحيط البستاني وهو نقلها عن «احكام باب الاعراب» للعطران برماتوس فرحات. ولهذا لم يسندها الى رواية بيت والرجل كثيراً ما جمع بين الفت والسمين من الالفاظ ولم يتثبت فيها صدق الرواية او حق النقل. واظن ان الكلمة ارمية ومعناها «القوي او القدير» لما ينسب الى هذا الخلق الوهمي من عجيب جلب الركاب الى صوته الرخيم الفخم واستلطهم في احبولته كانك تصفه بالقوي في جلب الركاب اليه. وسمته العرب «بنات الماء» على ما في حياة الحيوان والفرد «بنت الماء» واظن ان الذكر منه يعرف «بانسان الماء». وقد ذكر الدميري كلتا اللفظتين في كتابه المشار اليه

واما الزامر فهو تعريب معنوي لسرناس وقد وجد السلف فيه مشاكلة لفظ السرناي والسرتاي مرّب عندهم بالمزمار فلما نسبوا الفعل الى فاعل لم يجدوا بُدًّا من تسميته باسم يدلّ على الفاعلية فنشأ لفظ الزامر بمعنى السرناس وهو تسمية مخطوءة مبنية على حكاية ملفقة بنيت على ان الزنوسيراس او الاباسيراس ذو منقار فيه اثنا عشر ثقباً . وكل ذلك وهم على وهم في وهم

اما اليوم فلا يجوز لنا هدم ما بناهُ السلف فيجب ان نقول ان الاسم ابوسيراس هو الزنوسيراس ويفيد معنى السيرنس Siréne ايضاً ويطلق عليهما الزامر لمشابهة قرن الكركند المزمار فيكون الزامر على معنى النسب اي ذو المزمار كما يصدق الزامر على السيرنس نفسها لما نُسب اليها من طيب الغناء كأنها تزمر بمزمار خفيّ لها ان تسمى زامراً من باب النسب كما المعنا اليه أو لان صوتها صوت رجل زامر — وهو الهادي الى الصواب

كلدة

السل والامراض التذرنية

(تابع ما قبلهُ)

دخول العدوى جسم الانسان

تدخل العدوى جسم الانسان باحدى الطرق الآتية

الاولى التلقيح وكثيراً ما يكون بمشرط الجراح او الجرح المكشوف . فان الجلد يغطي الجسم كلهُ ويقيهِ من المكروبات لانها لا تنفذهُ بسهولة الاّ اذا وجد فيهِ جرح . وجلد كبار السن اقدر على حمايتهم من جلد الاطفال . واما الغشاء المبطن للانف والحلق والقصبة والشعب فيمنع دخول المكروبات متى كانت خلاياهُ الهدبية سليمة وكان خالياً من الجروح وغير كثير الفلوية

والثانية الاستنشاق وسيرد الكلام عليهِ في مكان آخر

والثالثة القناة الهضمية . فاذا وضع عصير المعدة على مكروب السل اماتهُ بما فيهِ من الحامض الهدروكلوريك . اما اذا وصل المكروب الى المعدة مع الطعام فلا يقوى العصير المعدي على اماتتهِ لان الحامض الهدروكلوريك الذي فيهِ يضعف فعلهُ بامتزاجهِ بالمواد الغذائية